فالظاهرة ترى لكنها لا تثير العقل بل تثير عواطف الفارس الكامن في بطون الكتب الصفراء « حديث النكسة . . . حديث يدمي القلب ويهز الاعصاب ، ان بوسعنا ان نبكي ولكن ما هذا شأن الرجال »(١٠). تدور المحاكمة هنا بين القلب والرجال حيث يبرز حنين الى عهد الفروسية مغترب عن القرن العشرين ، وحيث ينبعث تطلع عنين الى ماض مجيد قديم ، ويلعب الماضي المجيد هنا دورا في تجميل الحاضر البائس ، وتصبح فروسية الاقدمين مخدرا لبشاعة الحاضر ، ويصبح الفكر المتخلف الراهن هنا مغتربا عن حاضر بسبب قربه وعن ماض بسبب بعده ، فهو لا يطاول لا شرف الماضي ولا تقدم العصر ، فيغتصب الحاضر والماضي . فالفكر المتخلف عاجز عن فهم الحاضر « انتهزت اسرائيل ومؤيدوها من دول الغرب الخلافات العربية وخططت لجر العرب الى الحرب وهم غير مستعدين لها »(١١).

وكما نرى هنا فان التحليل ينسى كليا الحقل السياسي والنفسي الذي سيطر قبل الخامس من حزيران . وهذا النسيان بلا شك ليس ارادياً فقط بل يعود أيضا وبشكل رئيسي الى فكر غريب عن منجزات العصر ، فعندما يصبح عنترة حاضرا يتلاشى تماما مقال الحرب العلمي « ان العربي شهم أبي ، يثور أمام كل ضيم يلحق به أو اعتداء يقع عليه . . . وهو لا يرضخ مطلقا أمام القوة بل يفضل الموت على الرضوخ »(١٢). ينسى هذا التفكير معطيات الواقع العياني ، اي الطبيعة الطبقية للأنظمة « المحاربة » واللاهثة من أجل مصالحها الانانية . لذلك فهو يردد أيضا معطى من معطيات الفكر القبلي والغيبي ، عبادة الفرد القائد من خلال رؤيا أخلاقية تعيسة ، فالعربي لا يعتبر المحنة منحة فقط بل يفخر بقادته حتى عندما يصنعوا الهزيمة « العربي يعتز بقادته وهو يرجو أن يكونوا دائما خيرا لبلاده . . . وهو مؤيد لهم . . . ومدافع عنهم »(١٣).

وهكذا يطير الفكر المتخلف في عالمه الضبابي فلا يرى أخطاء ولا هزيمة ، لان هذه لم تكن نتيجة لممارسة جهاز محدد بل بسبب « المزاوغة التي استعملها الامريكان والبريطانيون ضد العرب »(١٤)، وتصبح الهزيمة هكذا نتيجة مؤامرة عالمية يقارعها العربي وحيدا ، فالعجز أمام فهم الواقع يفرز كل الاطروحات اللامنطقية الآملة في تبرير الهزيمة وامرارها ، ويقفز الفكر المتخلف هنا من عنترة الى الصليبيين بواسطة شوفينية بائسة « لو ان هذه الاحداث وقعت في غير البلاد العربية والاسلامية لما بقي أحد في دنيا التمدن المزعوم الا رفع صوته بالاستنكار والاستهجان والمطالبة بالقصاص »(١٥).

يعود الفكر المتخلف بعد ذلك الى ذاته ليبتلع فشله مغتصبا المجد الغابر « العرب اعتادوا ممارسة الكفاح الطويل ، في مختلف العصور والظروف والبقاع ، وكان النصر دائما حليفهم ، والاندحار رفيق أعدائهم »(١٦). نلمس هنا صنمية الماضي ، أي يصبح الماضي مزاراً ليس لقيمته الذاتية بل ليجمل وجه الحاضر المشوه ، ان دورة الفكر هنا يتوس بين محورين ، الماضي والمستقبل ، أما الحاضر فهو غائب باستمرار لانه لا يمكن استعماله وظيفيا الا بقدر .

منطق التبرير

لم تقدم الصحافة العربية تحليلا لهزيمة الخامس من حزيران بل قدمت تبريرا لها ، ومعنى ذلك القفز فوق السبب الحقيقي للهزيمة والبحث عن جملة اسباب أخرى خارجية ، فلا يكمن السبب في بناء الجهاز المسؤول بل في جملة عوامل خارجة عن ارادته وبنيته وتصوراته ، وهذا يعني ان السبب خارجي أو عرضي وليس بنيويا .

من أول التبريرات « اننا » لم نحارب اسرائيل بل الامبريالية العالمية قاطبة ، أي ان الانظمة كانت كاملة لكن الخصم أقوى مما يجب « النصر العسكري الذي تدعيه اسرائيل